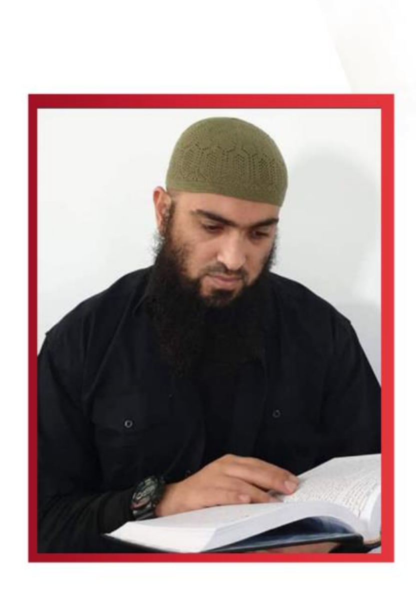
التلميذ يسأل والشيخ يجيب

أسئلة وجهت لفضيلة الشيخ

أبي قتادة الفلسطيني حفظه الله



الشيخ :نائل بن غازي مصران



فضيلةالشيخ :أبي قتادة الفلسطيني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله – ﷺ– أما بعد.

فهذه بعض الأسئلة التي وجهناها لفضيلة الشيخ أبي قتادة الفلسطيني – حفظه الله تعالى– والتي نستقرأ من خلالها بعضاً من المفاهيم التي تخص مسيرة الحركة الجهادية على اعتبار كونها الوارث الأجدر لمسيرة التغيرات التي تتعاقب على الأمة الإسلامية، والتي يرجى من خلالها إحداث تغيير حقيقي تصل به الأمة مع الحركة الجهادية عبر الحالة الجهادية المرتقبة شاطئ أمانٍ تعلوا به راية التوحيد وتحكيم الشريعة ونصرة الدين وضرب الجاهلية وتحقيق حكم الله في الأرض.

وفيها تسليط الضوء على بعض القضايا التي عابها الخصوم على مسيرة الحركة الجهادية وهي منها براء.

وفيها نصح لعموم الأمة بتبصرة الجيل، وحثه على لزوم سبل التغيير الحقيقي دون الاستغراق في شواغل السبل التي أثبتت الحوادث فشلها وسقوطها وأنها لا تتعدى كونها سراب فكر، ونزق تقعيد أجوف، وجهل بسياسة قيادة الناس.

ونسأله تعالى من ذلك القبول وأجر البيان والنصرة.

أخوكم المحب/ نائل بن غازي

السؤال الأول : هل الحركة الجهادية حركة عابرة، جاءت نتيجة ردات فعل على الغزو العسكري لبعض بلاد المسلمين؛ وعليه فهي بلا رؤية ولا بُعد استراتيجي؛ ولا استشراف حقيقي لمستقبل ديمومتها؟؟

أجاب الشيخ – حفظه الله تعالى-: هذا السؤال طويل البحث ومتشعب والأمر في هذا السؤال ليس متعلقاً فقط بالحركة الجهادية.

فالحركات الإسلامية دائماً تتهم بأنها قامت كردّات فعلٍ على قضايا حادثة من غيرها.

فمثلاً كثيرٌ ممن كتب عن الإخوان المسلمين قال: بأن الحركة قامت على إثر سقوط الخلافة وانتشار العلمانية.

وكذلك لو رجعنا لنشاط الشيخ حسن البنا –رحمه الله- فهو نشاط دعوي تربوي أكثر منه سياسي.

فهم يقولون بأن الحركة قامت كردة فعل على حركة حادثة (سقوط الخلافة) فقامت الحركة لأجلها.

كذلك تجد هذا المعنى حاضراً في حركة الشيخ محمد إلياس –رحمه الله- مؤسس جماعة التبليغ في كلام شيوخها من باب النظر للواقع الإسلامي بما فيه من انسلاخ عن الهوية الإسلامية في الهند ولحوقها بالهوية الهندوسية، فأنشأ الشيخ جماعة التبليغ كردة فعل على هذا الواقع الطارئ المؤلم غضبةً لله تعالى لإصلاح هذا الإنسلاخ. وعليه فالمسألة لا تُطرح بهذه الطريقة،

فوجود ردات أفعال على حادث ما لا يعني غياب الرؤية واستشراف مستقبل الديمومة للحركات الناشئة فالإقتران

غير يقيني، فمن الممكن قيام حركات مقاتلة من أجل الغزو الحادث على بلاد المسلمين للتصدي والقتال والرد عن بلاد المسلمين، كالذي حصل بعد الغزو الأجنبي لبلاد المسلمين ونشوء الحركات الجهادية الصادة له والدافعة له.

فلا يصح وصف هذا الفعل بكونه سلبياً يُعيّر بها المجتهدون؛

لكن المسألة في الحركة الجهادية بأنها اختيار لحقيقة قضية معالجة الواقع.

لفتة دقيقة مهمة

الواقع بعد خروج المستعمر وبقاء رجاله في المنطقة وتكوّن الدولة الوظيفية، وانتشار الفساد الاجتماعي، وتغيّر عبادات واعتقادات الناس، نشأت على ضفاف هذه المتغيرات الكثيرة المتعددة جماعات كثيرة متعددة لقصد الإصلاح، ولم يعد الأمر مقتصراً على إفرازات لها متعلق بالغزو العسكري.

فجماعة الجهاد في مصر –مثلاً– لم تنشأ كردة فعل على غزو كما أنشأ الشيخ حسن البنا –رحمه الله– الجهاز الخاص من أجل مقاومة الإنجليز، وإنما قامت الجماعة ضد الحاكم الذي يحكم بلداً من بلاد المسلمين مع التصاق وصف الوطنية فيه دون وصف المحتل الغازي الخارجي.

وكذلك بقية الجماعات التي أقيمت لمنابذة الجاهلية المتمثلة في الحكم القائم بالتسلط على رقاب المسلمين في بلاد المسلمين؛ وبالتالي فهي لا تعتبر ناشئة كردة فعل على غزو خارجي.

وعليه تصويباً للمسار نقول: أنّ العالم الإسلامي عانى من قضايا متعددة بعد سقوط مظاهر العلم والتدين بسقوط الخلافة؛ فتشتت الأمة وانتشر فيها ما انتشر، وتحولت الخلافة إلى مجموعة نظم صغيرة متفرقة مفسدة للأمة ولا تقوم بالشرع على وفق مراد الله تعالى، فكان من أبرز تلك الإفرازات نشوء جماعات متعددة ذات رؤى مختلفة في سبل تغيير هذا الواقع إصلاحاً وتقويماً وصولاً للأصل الأول.

فرأى البعض أن التغيير لا يلزم منه التغيير الجذري على اعتبار أن الأمة على درجة من الصلاح وأنها بحالة جيدة، وكذلك الحاكم وأنه يمثل واقعاً جيداً ولكنه يحتاج للإصلاح دون المجابهة والمواجهة – وربما حصل هذا الاختلاف على جهة التناقض والانفكاك في داخل الجماعة الواحدة لاختلاف بيئة النشوء.

الحركة الجهادية وأدبيات التغيير

الحركة الجهادية كانت أكثر أثراً لأنها صدمت المفاهيم الكبرى المتعلقة بفقه التكفير ومسائل الإيمان وكذلك مسائل التربية

أما الحركة الجهادية فقد اختارت المجابهة والصدام، ونشأت معها الجوانب العلمية الخاصة بهذا التيار والتي تسمى بالأدبيات والمتمثلة في تناول مسائل الحاكمية ووصف الحاكم والخروج عليه وكيفية تحقق ذلك وما هي الأحكام المترتبة على الخروج؟ ما هو الفقه الواجب المناسب لهذا الواقع؟.

وكل ذلك لأن الحركة الجهادية اختارت دون غيرها في وقت مبكر الصدام مع هؤلاء الطواغيت.

اليوم يمكن للشاب المعاصر ألا يرى كثير فروق بين الجماعات من حيث النظر إلى الواقع؛ وهذا لم يكن متحققاً قبل خمسين سنة؛ فالبون آنذاك بل وإلى اليوم كبير وآثاره حاضرة موجودة عند تناول قضايا تمس الواقع مثل قضية كفر الحاكم، وكفر الطائفة التي تقوم على حمايته، وكذلك نوع قتاله

وهذا الحوار موجود حاضر في صفوف الجماعات الإسلامية؛ لكن الحركة الجهادية لخصوصيتها في وصف الواقع سارت مع هذا الوصف ببيان الفقه المترتب على هذا الوصف.

فأنشأت حالة علمية غزيرة لاسيما في القضايا المتعلقة بقضايا الإيمان وما نتج عنه من حوار حول قضايا الإرجاء والوقوف أمام أهل البدع وكل ذلك لنظرة الحركة الجهادية المتعلقة بالواقع لاسيما المتعلقة بالحاكم والطوائف معه والخروج عليه، وما نشأ عنه من بيان حكم فقه الطائفة الممتنعة وغير الممتنعة.

الكلام عن قضية الانتخابات والخلاف حولها وتأصيل مسائل التشريع والحكم بغير ما أنزل اللهن كل ذلك من ميراث مكتبة أدبيات الحركة الجهادية.

وعليه فالحركة الجهادية حركة شاملة لأن الفعل الخطير الذي قامت عليه من وجوب تغيير الواقع بحد السلاح والصدام معه أنشأ التغيرات العلمية؛ بل والتغيرات الكونية وبعض الحوادث تدلل على هذا كقضايا اغتيال السادات وأحداث الحادي عشر من سبتمبر وغيرها، كلها أسهمت في تغيرات جذرية في المنطقة؛ وبالتالي فإن الحركة الجهادية كانت أكثر أثراً لأنها صدمت المفاهيم الكبرى المتعلقة بفقه التكفير ومسائل الإيمان وكذلك التربية.

ثم نشأت على ضفاف ذلك المسائل المتعلقة بالتربية، ونوعية التربية، والنقاش مع الآخرين والحوار وهكذا

فأنشأت حياة جديدة ذاخرة بجوانب العلم المتعددة المتكاملة؛ وبالتالي فهي ليست حركة عسكرية فقط، وإن كان كل ما قامت به من روافد علمية وتربوية وسلوكية يصب في قضية الصراع –وإن كان البعض لا يرى إلا هذا الجانب– لأن البعض لا يرى إلا جانب القعقعة والصراخ والإعلام مع قصر نظر للجوانب البنائية الأخرى، مع أنها متوافرة كثيرة غزيرة في البيئة العلمية عند طلبة العلم والمشايخ.

فهل هي ردة فعل؟؟ بلا شك هي كذلك بعد سقوط الخلافة، وردة الفعل هذه ليست غريبة لأنها أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو منشأ الجهاد فحيثما ظهرت بدعة ينبري لها أناس يتصدون لها ويحاصرون انتشارها ويحاربون آثارها بالبيان والإحاطة.

الجماعة الجهادية التي نراها اليوم ليست حالةً خاصةً بل هي ممتدة بامتداد جذورها لكل مجاهد، وكل طوائف الجهاد في أمتنا.

فردة الفعل ليس وصفاً سيئاً يمكن أن تُعيّر به جماعة من الجماعات؛ ولكن بلا شك أنّ الجهاد لا يجوز لنا أن نجعله منبتّاً عن تاريخه فالنبي –ﷺ– يقول:" لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق" فطائفة الحق هي طائفة علم وجهاد وتربية ودعوة وهي لم تنقطع؛ والجهاد قائم إلى يوم القيامة؛ وعليه فهذه الجماعة الجهادية التي نراها اليوم ليست حالةً خاصةً بل هي ممتدة بامتداد جذورها لكل مجاهد، وكل طوائف الجهاد في أمتنا؛ ولذلك فهي لا تعزل نفسها بأنها انتاج جديد، فإذا قرأت تراثها وأدبياتها تجدها تمدح كل من حمل هذا الأمر على وجهه الصحيح سواء كان بمقاتلة طاغوت داخلي، أو مستعمر محتل خارجي.

ولابد من قراءة المشهد على هذا النحو قراءة تصل بالمتتبع حد التصور الدقيق دون انقطاع عن سابق النشئة ولاحق الانتشار.

وهذه النظرة مطردة مع كل جماعة نشأت فهي ليست حادثة أو منبتة بلا جذور؛ بل لها صلة مع الأمة في جوانب متعددة، بل وتجد سلسلة الحق التي لا تنقطع، وكل جماعة تسعى جاهدةً لمد جسور الصلة مع أصالتها المتمثلة بالأمة وتاريخها دون تميز عنها كنبت جديد، فجماعة الجهاد ترى نفسها امتداداً لكل طوائف الحق من المجاهدين وأهل العلم وأنها امتداد طبيعي للخلافة التي سقطت؛ **خلافاً لطريقة** المبتدعة الذين يقدمون أنفسهم كبناء مستقل عن أمتهم بلا صلة، وأنهم الإبداع الذي حدث على غير مثال سابق.

الآن ما الذي يدعونا لأن نتكلم عن هذا الموضوع بهذا النوع من التوسع؟؟

للقول بأن رؤية الجماعات الجهادية هي الأقوى مقارنةً بغيرها من الجماعات التي سلكت مسالك السياسة أو الإصلاح أو العلم أو الدعوة؛ على اعتبار أن جميعها قد وصل لطريق مسدود وحائط أملس لا يجدي ولا انفكاك منه لقوة التيار الإفسادي المواجه لمحاولات إصلاحها؛ فهم يصلحون والحاكم بمؤسساته التابعة له تمارس الإفساد الممنهج بشكل أعمق وأكثر تجذراً في نفوس الناس.

وبالنظر للجماعات السياسية فانتهى مسلكها التغييري بالصراع والانهاك ومن ثمّ الإزالة والإخراج من ساحة التأثير.

وأما الحركات العلمية فهي حركات لا يمكن القول بأنها تحمل رؤية حقيقية في الإصلاح وبالتالي عادت للانتكاسة نحو الداخل على نحو طرائق التصوف من الانكفاء على الذات والعكوف على تحقيق الكتب وهذه مسألة لم تنقطع في أمتنا لنقول بأنها جماعة مبدعة وأتت بمعالجة خاصة للواقع المُعاش؛ وغالب حالها أنها جماعات قد احتوت أشخاصاً لهم جهودهم العلمية وهم مشكورون على ذلك ما لم يعتقدوا السبق وحيازة تمام الحق وأنهم يملكون الرؤية الواقعية للتغيير فإنهم يُذمون على هذا الاعتقاد.

وعليه فالجماعات الجهادية برؤيتها الحاضرة أثبتت أنها تملك الرؤية الصحيحة في سبل التغيير المنشود، فما كنّا نقوله قديماً عن الطواغيت ويستنكر علينا غيرُنا الآن الناس يسبقوننا إلى هذا القول وهذا المعنى لتصبح هذه المعاني الشرعية هي التي تمثل فقه الأكثرية وفي ذلك دلالة على استشرافها الواقعي للواقع وامتلاكها لواقعية الرؤية التي على وفقها بنت أدبياتها وكانت أكثر فهماً ورسوخاً وثباتاً من غيرها.

السؤال الثاني : هل فقدت الحركة الجهادية زمام المبادرة وباتت تدور في مساحات عدم التأثير حتى في الساحات

أجاب الشيخ –حفظه الله– :" الحقيقة لا أدري كيف تنشأ هذه الأوهام والظنون؛ وللجواب على هذا السؤال لنرى كيف كانت الحركة الجهادية؟ وكيف صارت؟

فالحركة الجهادية الآن:

١. **أولاً: لم تعد نُخبوية**
٢. **ثانياً لم تعد محصورة في مكان جغرافي**
٣. **ثالثاً: خرجت من كثير من السرية التي كانت تعيشها بسبب الملاحقة**
٤. **رابعاً: تعافت الحركة الجهادية من قلة الأعداد**
٥. **خامساً: انتقلت من مرحلة مجرد طرح الأفكار إلى الحالة العملية في كثير من البلاد**

الحركة الجهادية جمرة اشتعال للأمة يقودها طليعة ونخبة

وفي إطار التصور الصحيح لتطور الحالة الجهادية يجب ملاحظة أن المقصود الأساس من حراك الحركة الجهادية منذ الابتداء أن تكون جمرة اشتعال للأمة يقوم بها طليعة ونخبة تصبر وتثبت على بدايات الطريق

وتمارس الجهاد واقعاً على الأرض واستثمار الظروف التي يسببها حمق الخصوم، وما ييسره الله من أسباب قدرية بقصد اشعال الأمة في الجهاد – باعتباره المخلص الوحيد من أدران التبعية المقيتة–.

الانتقال بالأمة من الحالة النخبوية الطلائعية إلى حالة التوسع يجعل الحركة الجهادية تمتلك التأثير الأكبر والرؤية الأصوب وامتلاك زمام مبادرة التأثير في كل مواجهة.

الحركة الجهادية في أصلها تؤمن بأنه لا يمكن للجهاد أن يحقق مقاصده في عموم الأمة إلا أن تلتحق به الجموع؛ لكنه لا يمكن أن يقوم إلا من خلال النخبة والطليعة، وهي قضية حاضرة في الأذهان وما يدور الآن من خلاف حول مفهوم النخبة والأمة إنما هو خلاف على الورق وهو من قبيل المناكفات في هذه الوسائل الإعلامية؛ وإلا فالكل متفق على أساس أن النخبة هي أساس القيادة والصراع وهي القاعدة الصلبة

التي تلتقي حولها الأمة؛ ولكن لا يمكن للجهاد أن يحقق مقاصده إلا من خلال التحاق الجموع.

هناك قضايا داخلية تحت هذا الإطار يوجد فيها خلاف كالتحولات التي تنشئ ظروفاً مختلفة ينشأ عنها خلاف في الرؤية والفقهي في بعض جوانبها، وهذا شيء طبيعي ناشئ عن حراك طبيعي نتجت عنه كثير

من المعالم والأفكار والتغيرات وسيغاير الناس مواقعهم المتصلبة للظروف الجديدة المفروضة من كل الجهات ليلتقوا على ما يمكن الالتقاء به وما هو أقرب لتحقيق الرؤية الشاملة للجميع.

الحالة الجهادية الآن هي الرقم الصعب الذي يلتقي عليه الجميع

الحركة الجهادية توسعت فهي قبل أفغانستان كانت مجرد أفراد يقرأون داخل البيوت ويتعلمون ويمارسون الجهاد وفق عمليات صغيرة جداً.

استثمرت الحركة الجهادية الحاضنة الأفغانية والظرف القدري الرباني العظيم فبنت نفسها ونشرت أفكارها ورتبت أوضاعها.

وبعد ذلك فتح الله لهم العراق، والبوسنة، والشيشان، والآن جهاد على مرمى حجر من بيت المقدس.

والحالة الجهادية الآن هي الرقم الصعب الذي يلتقي عليه الجميع وأنه لا سبيل للتغيير إلا بالجهاد، ولا يهم أن يأتي اللاحق ليقول أنا ولادة الجماعة الجهادية السابقة، فالمهم أن تتحقق مقاصد الجهاد وإقامة الخلافة والإمامة في الأمة بإزالة الطواغيت وتحكيم الشريعة وتحقيق العدل وإقامة الأمن لحماية البيضة.

هذه التحولات الكبرى في الحالة الجهادية من حالة النخبة لحالة أكبر من النخبوية واتساع أكثر هي التي ستقمع هذه الأوهام والظنون وتثبت وهنها وضعفها من أن الحركة الجهادية قد فقدت تأثيرها.

فالحركة الجهادية الآن هي أكبر وأعظم بكثير من قبل عشر سنوات، وهي الحالة الوحيدة الآن التي تفرض نفسها على أي حالة في أي حلقة من حلقات الردة وأي موطن من مواطن بلاد الإسلام أو التي تحولت من بلاد أهل الإسلام إلى بلاد ردة بسبب الحاكمين المبدلين لشريعة الرحمن.

لسان الحركة الجهادية: ليت الناس يخوضون غمار التغيير عبر وسيلة الجهاد دون أن ينسب لنا منه شيء

ثمة مسألة وهي أن البعض يتعامل مع الحالة الجهادية كتنظيم وهذه المفاهيم مغروسة في داخل التنظيمات، وهذا لا يقيم الله له شأناً وليس هو مثار اعتبار وهي قضايا صراعات نفسية لا يصنع بها التغيير، فالتغيير هو أن ما نريده ينتشر بنا أو بغيرنا، كما قال الشافعي –رحمه الله– :" ليت الناس تعلموا هذا العلم دون أن ينسب لنا منه شيء" وهذا لسان الحركة الجهادية: ليت الناس يخوضون غمار التغيير عبر وسيلة الجهاد دون أن

ينسب لنا منه شيء، مع أنّ الأفكار الموجودة في كثير من الساحات الجهادية هي اختيارات مشايخ الجهاد سواء نصبوا هذا الفضل لهم أم لم ينسبوه.

وجب التنبيه على نقطة وهي أن انتشار الحركة الجهادية واتساعها ينشأ عنه مشاكل – ولا أقول أمراض– خاصة ومتعبة وعلينا تحمّل هذا فهذه هي سنة الأقدار تمشي بهذا المعنى.

السؤال الثالث : هل اعتمدت الحركة الجهادية في انطلاقتها على ثوران نفوس الشباب وبركان عواطفهم دون تقييد ولا تأديب، حتى وقع الانفصام بين ما يجب أن يكونوا عليه، وحقيقة ما هم عليه؛ فكانت الحركة الجهادية منبع تصدير للفكر المنحرف ورهق التكفير والتفجير؟؟

أجاب الشيخ –حفظه الله–:" الحركة الجهادية نشأت في ظروف متغيرة ومتعددة والكثير منها بل كلها في ظروف صعبة.

أولاً نريد أن نحلل السؤال لأنه كما في الأسئلة السابقة ارتباطات بين قضايا وكأنها تبدو معيبة وهي في الحقيقة ليست كذلك، فمثلاً عندما انطلقت الحركة الجهادية في اعتمادها على العواطف وثوران النفوس وإن كان السؤال في الحقيقة جاء بضابط –دون تقييد– لكن العاطفة كانت مطلوبة وواجبة.

الحركة الجهادية ليست حركة ذهنية وليست حركة علمية فقط أو حركة فكرية فقط، والعاطفة أساس مهم في منطلقاتها

فالحركة الجهادية ليست حركة ذهنية وليست حركة علمية فقط أو حركة فكرية فقط تغير الأفكار بلا اتزان ولا ميزان، فالحركة الجهادية فيها دماء وهجرة في سبيل الله وفيها ترك لمحبوبات النفس ورغباتها، وفي طريقها دفعٌ لأثمان غالية جداً من سجون وهجرة وتهجير وقتل وسفك دماء وخراب بيوت، فالحركة الجهادية ليست حركة فكرية يتم التغيير فيها على مستوى الصفحة والورقة والكلمة وينتهي الأمر؛ وبالتالي حاجة هذا الفعل إلى العواطف شيءٌ مقررٌ؛ بل هو الوقود الأول والأخير له.

وفي المقابل فإن الحركة التي تعتمد على العواطف في سبيل التغيير كوقود لها لابد معها من تقنين لتلك العواطف من خلال العلم والقيادة الحكيمة ومن خلال الفقه المكين فهذا لابد منه.

لكن مما لا شك فيه أن جموع الشباب في أغلبها كطوائف لاحقة لا طوائف مؤسسة؛ فالطوائف الجهادية المؤسسة هي طائفة علمية مكثت على الكتب ونظرت في أصول المرض في الأمة كالإرجاء والتصوف والخنوع فنشأت الحركة العلمية التي كانت لبنة الحركة الجهادية وفق هذا التصور وهذا الفقه المُتناول لكنّ

لحوق الجموع من الشباب فلاشك بأنه تمّ من خلال الصورة والعاطفة، فالجموع التي لحقت بالجهاد الأفغاني كانت فقط تحتاج لكلمة من المجاهدين في أفغانستان.

فهذه الصورة التي كان ينقلها الشيخ الدكتور عبد الله عزام –رحمه الله– للشباب من خلال مجلة الجهاد كانت هي المؤثر الفاعل لهذا النفير الذي حشد الآلاف لأفغانستان.

صورة هذا الألم الذي تعانيه الأمة بسبب إجرام الغزاة لبلاد المسلمين هي التي كانت مصدر تثوير لنفوس الشباب ولازالت الحركة الجهادية حاضنة ولادة بسبب استمرار التحاق الجموع بها بسبب هذه الصورة المنشورة

كإصدارات جحيم الروس التي تسلط الضوء على الجهاد الشيشاني والتي ألهبت نفوس الشباب وجعلتهم في أتم الرغبة لمشاركة إخوانهم هذا الجهاد المبارك رغبةً في التغيير.

والآن في فلسطين يلتحق الشباب بالحالة الجهادية الموجودة منشؤه الأول الصورة والعاطفة؛ لذلك لا ينبغي أن نذم العاطفة والحالة النفسية لأنها مهمة جداً في موضوع الجهاد، فنحن لسنا أمام أفكار مجردة ولا نناقش كتباً أو أفكاراً تنتهي صراعاتها بكلمة مقابل كلمة أو فكرة مجردة مقابل مثيلها أو ورقة مقابل ورقة؛ فقضية الحركة الجهادية أعمق من ذلك بكثير والتي تعتبر التعبئة النفسية فيها ركيزة من ركائزها بل هي

الأهم فيها بعد البناء العلمي والذي يمثل القاعدة الأساس وبقية جزئيات البناء مبناها على العاطفة والبناء النفسي.

الحركة الجهادية ظُلمت حين لم تُعطَ الفرصة والمجال لتشرح للناس عن نفسها، وهي مقموعة ومشايخها مقموعون بالقتل والسجن والإقصاء والمنع.

الآن بعد التحليل السابق لجانب من جوانب السؤال، نأتي لقضية مهمة وهي هل هذا الغلو الذي حدث داخل صف الحالة الجهادية سببه قلة العلم؟

الجواب: نعم

والحقيقة أنّ قلة العلم داخل صفوف الحالة الجهادية إنما جاء بسبب فُجائية هذا السيل الكبير الذي التحق بالمجاهدين هو الذي سبب هذه الحالة الشاذة والنتوءات المرضية داخل صفوف الحالة الجهادية.

ففي قضية الربيع العربي فجأة سقطت الأنظمة وتحولت كثير من البلاد لحالة جهادية والتحقت جموع كثيرة بتلك الحالة وانتقلوا من صفوف إلى صفوف.

ومع وجود تقييد شديد لمشايخ وقادة الجهاد وظروفهم القهرية، في حين قبل الربيع العربي كانت كثير من البلاد قد فتحت أرضها وفسحت مجالات واسعة لكثير من شيوخ السلفيين وشيوخ الإرجاء ومشايخ التكفير للتنظير والوصول إلى شرائح الناس وتعبئتهم وإملائهم بقضايا جديدة، فحصل هذا الشرخ والبلاء.

وبالتالي هو شيء قدري موجود حاصل في داخلنا وداخل المجتمعات ولا يقتصر على الحالة الجهادية فقط، ومع ذلك فإن الحركة الجهادية ظُلمت حين لم تُعطَ الفرصة والمجال لتشرح للناس عن نفسها، وهي مقموعة ومشايخها مقموعون بالقتل والسجن والإقصاء والمنع؛ فمشايخ الجهاد لم يسمح لهم الوقوف لهذه النتوءات وهذه الأمراض من التكفير والغلو مع سيل الجموع الوافدة للحالة الجهادية الذين لم ينالوا قدراً كافياً من التبيان

والبيان بسبب المنع والملاحقة والمطاردة والإقصاء من شيوخ الحركة الجهادية وقادتها، والشباب في أكثرهم لم يكونوا على درجة من التأصيل تحجبهم عن مزالق الغلو والتكفير

والحالة الثانية في قضية التربية أن كثيراً من الشباب بعدما فُتحت البلاد انتقلوا من حالات السرقة والكذب والقتل والفجور إلى حمل السلاح فحينئذٍ متى سيُربوا هؤلاء؟!

فقه التكفير يحتاج إلى خواص خواص العلماء، لكنّ الخواص ملاحقين ومطاردين ، وقد دفعت لأجل ذلك الحركة الجهادية الثمن أكثر من غيرها بكثير

والسؤال الآن هل هذه الجموع التي تُسمى بالمجاهدة، والتي سلكت طريق الجهاد منذ زمن؛ هي خالية عن العلم؛ الجواب لا، هل هي خالية عن التربية الجواب: لا.

لكنّ حديثنا عن طبقة دنيا جاءت من حالة جاهلية والتحقت بالحالة الجهادية مع قلة الكوادر الحامية، ومع التقييد عليها، وإقصائها وملاحقتها ومطاردتها وتغييبها ومنعها من العلاج والتبيان، فبدأت هذه الجموع من تشكيل نفسها، وبدأ بعض الغلاة من استثمار الظرف ونشأ ما نشأ من المصائب.

ولم يحدث ذلك بسبب الحالة الجهادية ولا بسبب الحركة الجهادية ولا يجوز أبداً نسبة هذا الظلم إلى الحركة الجهادية.

يمكن أن يُقال أنها أطلقت إطلاقات يفهم منها ذلك؛ لكن تلك الإطلاقات كذلك ليست عيباً لأنها طبيعة كثير من الحركات، فالشعارات هي شيء ضروري في تكوين الحركات بل هو ضروري في الحياة.

وموضوع التكفير هو من المسائل الخطيرة جداً ولا يفتي به إلا راسخ عالم وكما قال شيخ الإسلام:" ولا يفتي في الجهاد إلا خواص العلماء" وموضوع التكفير هو أخطر من موضوع الجهاد فيحتاج إلى خواص خواص العلماء، لكنّ الخواص ملاحقين ومطاردين والجموع لا تفهم كلام الخواص، فانبرى لخطير تلك المسائل من لا

يحسن، فحدث ما حدث ودفعت الحركة الجهادية الثمن أكثر من غيرها بكثير، مع عموم الناس المظلومين من ضحايا هذا الغلو والتكفير.

ولكن في المقابل أين مشايخ وقيادات التنظيمات الأخرى والتي حصرت دعوتها في التعليم وكانت تدعوا لتعليم الناس؟؟

ولماذا تُحمّل الحركة الجهادية كل توابع الظروف الناشئة، حتى يحمّلها الناس ضرورة الجهاد في سبيل الله، وضرورة إيجاد العلماء المربين، وضرورة إيجاد السياسيين، وضرورة إيجاد كل شيء، مع أنها تعيش في ظروف ليست فقط استثنائية ولكنها قاتلة.

ولا يعني أن نقول أن الحركة الجهادية بريئة تمام البراءة؛ فكلنا متهمون؛ وينبغي توزيع المسئولية بقدر القدرة والإذن؛ ولا يصح القول بأن هذا الذنب تحمله الحركة الجهادية فقط، بل يجب أن يتحمل جموع

المشايخ الإثم الأكبر في صناعة الغلو لما يفعلون من جرائم وأوساخ، بالنظر لخطأ أقوالهم وأفعالهم وكثير من اختياراتهم.

فما ينبغي أن يتحمل الجانب الضعيف المسئولية التامة على ذلك، وعلى كل حال فذلك شيء متوقع بسبب تغييب العلماء وقيام الصحوة.

لكن المطمئن في ذلك أن هذا الدين محفوظ، وأن الحق قائم، وأن طائفة الحق ظاهرة بعلمها في كثير من الأوقات –كما يقول ابن حزم رحمه الله: بأن الظهور ظهور علمي، وظهور كوني –بالغلبة– فهي ظاهرة في كل وقت، وهي غالبة قاهرة لظهور البدعة المؤقت – الذي لا يدوم لقيامه على الظلم ومخالفة السنة– قبل إزالتها.

السؤال الرابع : برأيكم يا شيخنا؛ أين مراكز القوة في الحركة الجهادية؟؟

خطاب الحركة الجهادية خطاب يلامس الفطرة البشرية وشيوخها قدموا نماذج الاتباع

أجاب الشيخ – حفظه الله– :"أول مركز من مراكز القوة هو قوة البناء العلمي في تأصيل سبب وجود هذه الحركة وتكوينها، فقد استطاعت الحركة الجهادية أن تزلزل كثير من المفاهيم الفكرية وحتى العقدية الخاطئة التي اتخذها الخصوم، التأصيل العلمي لقضايا التكفير والحكم بغير ما أنزل الله وما يتعلق بمسائل الإيمان ومعتقد اهل السنة فيها وبيان ما عليه المخالفون لها من المرجئة والغلاة والخوارج.

وقد ثبت أن الخصوم لا يملكون حيال قوة حججها وبيانها إلا التهويش والضرب بأسلحة باردة عقيمة.

ثاني المراكز / منطلقات الحركة الجهادية هي التي تلامس الفطرة الإنسانية، فعند حديثنا عن بلاد كسوريا مثلاً يحكمها طائفة نصيرية تقوم بالجرائم بل كل أنواع الجرائم، فيأتي شيخٌ يدعو لعدم الخروج والقيام على هذا النظام، أو مصالحته، أو القبول والتعامل معه كنظام إسلامي، أو ما تعلم من تنوعات في داخل الرؤى الإسلامية المعلومة في التعامل مع هذا النظام وفق منطلقات بنائية معروفة سواء كانت مبنية على علم، أو مبنية على الحكمة المدعاة، فمن الذي يوافق الفطرة الإنسانية لو خاطبت عقول الناس؟؟

لاشك أن الذي يوافق الفطرة الإنسانية أن ينتصر الناس للحق، وأن ينتصر الناس للمستضعفين.

فالناس يكرهون هذه الطوائف البدعية في عقائدها وتاريخها، ولو سُئل الناس عن طرائق العلاج فإنهم لاشك لا يقبلون التعامل معهم وقبول وجودهم وفق ما يدعوا إليه البعض بالسكوت والصبر وقبول الخنوع لقواعد الحكمة المدعاة.

ولو تأملت خطاب المشايخ المهترئ في قضية التعامل مع الحكام، وقارنته مع خطاب مشايخ الحركة الجهادية لعلمت أن خطاب الحركة الجهادية هو الذي يلامس مكنونات الفطرة في النفس البشرية، من لزوم زوال الظالم، وقهر الغاصب، ودحر العميل، وأن المغاير لعقيدة الأمة لابد من زواله.

وعليه فملامسة الفطرة من أقوى المراكز بعد التأصيل العلمي، فالتأصيل العلمي يضبط خروج الفطرة عن بعض جوانبها لأنها جزؤه فالفطرة تملك علماً أصيلاً لكنها لا تملك علماً تفصيلياً قادراً على دفع الشبه.

ثالث هذه المراكز/ القدوة وتقديم والنموذج فالجهاد هو نموذج الفداء وما تعلق الناس بالمجاهدين إلا لتقديمهم النموذج في التضحية والفداء والزهد ومفارقة المحبوبات وهذا شيء محبوب لدى الناس.

فقيادات الحركة الجهادية قدموا النموذج الأمثل في كل ذلك على اعتبار أن طريق الجهاد طريق شاق لا يبقى معه إلا القدوة والأثر ولا حظ للنفس فيه.

وهذا غير حاصل لغير طريق الجهاد من القيادات الصوفية التي اقتاتت على التصوف وسلب الأموال تحت دعاوى الزهد المفضوح، وكذلك الحركات السياسية التي استأثرت بالمناصب لها ولأبنائها من بعد ولم يقدموا النماذج التي تُحب والناس في ذلك تراقب وتحاكم.

فالأمة تحب الإمام الذي يحمل قضاياها ويقدم نفسه فداءً لها، فالحركة الجهادية قدمت هذا النموذج وقدمت قادةً معروف عنهم وعن عائلاتهم الثراء والغنى والمناصب العليا في البلاد ولكنهم زهدوا فيها وتركوها وعاشوا شظف الحياة ومشقتها، وعاينوا الظروف الصعبة وقدموا لذلك أرواحهم واموالهم وأولادهم، وتركوا ديارهم وأوطانهم وارتضوا الهجرة والبعد عنها، فهذه الحالة مثلت أكبر مراكز قوة واستقطاب على اعتبار أن الناس يحبون هذه الصورة وهذا النموذج.

السؤال الخامس: برأيكم يا شيخنا؛ أين مراكز الضعف في انطلاقة الحركة الجهادية؟؟

أجاب الشيخ –حفظه الله-:" الحركة الجهادية ستعاني الكثير من الهزات كما رأينا سابقاً، وقد تبين أن هناك عوامل هشة داخل الحركة الجهادية بعضها كان اختيارياً، وبعضها قدري لا انفكاك منه.

ولعل المراقب للأوضاع ليبدو له أن الأمة مع موعد مع تغيرات كبرى دولية، تغيرات كبرى مناطقية، تغيرات كبرى إقليمية، تستدعي بناءً قوياً يستوعب هذه التغيرات، والحقيقة أننا لسنا على مستوى هذه التغيرات، وسوف نبني أنفسنا خلالها، والبناء خلال هذه المسيرة سيكون صالحاً إذا كان يمشي بطريقة سهلة وميسورة؛ لكن أن تتم هذه التغيرات الكبرى والتي تحتاج إلى مؤسسات قوية وأجساد صلبة تتلقى هذه التغيرات تلقياً صحيحاً فهذا صعب غير متصور.

وفي غالب الظن أن التوحش سينتشر وستسقط دول، وستحدث تغيرات كبرى، وستفاجأ الحركة الجهادية بهذه التغيرات ولا يصلح معها ما نحن عليه من الحالة التي نعيشها.

فإذا كانت التغيرات اليسيرة التي حدثت بعد ما يسمى بالربيع العربي قد أنتجت ما نرى من اهتزازات، واختلافات وتغيرات وخصومات، وكيف كنّا وكيف افترقنا، وكيف نتكلم، وكيف نعالج؟؟

فكيف ولو حدثت تغيرات دولية كبرى –وهذا هو المرتقب، وهذا الذي سيقع- فكيف إذا سقطت دول كبرى لها تأثيرات ليست فقط إقليمية وإنما تأثيرات عالمية ؛ كيف ستتلقى الحركة الجهادية هذه التغيرات الكبرى؟؟

في الحقيقة هذا من الأمور القدرية التي نسأل الله أن يرحم الأمة بها وييسر لها الخير في معالجة هذه الأوضاع الجديدة، وهذا ربما –في نظري- أكبر ما يعترينا؛ فإلى الآن لم نعالج الكثير من الرؤى، ومازال في داخلنا من يريد ان يأسر الحركة في داخله ورؤاه الخاصة بعيداً عن سطوة الواقع الذي يُنشأ فقهاً يتلاءم معه، فنحن بحاجة لتعلم تحقيق المناط، بحاجة لتعلم تخريج المناط، كما هي في الأصول ونطبقها على الواقع لكي تتسع مداركنا، والتي أُنشئت تحت ظروف معينة سابقة، وأعتقد أن هذا هو من أكبر عوامل الضعف في الحركة الجهادية، وأتمنى أن ترث الحركة الجهادية التغيرات باعتبار تاريخها، وإن كنت في مرات أضع يدي على قلبي عند النظر للتعامل الساذج الضعيف مع هذه الاهتزازات الجديدة والتحولات الجديدة فأرى الحال كما يقولون:" مكانك راوح "، وهذا خطأ كبير، وهو بريد الاستبدال " وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ

قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم" فهذا جانب قدري لا مناص منه ومعه كذلك جانب اختياري عملي متمثلاً بضعف مستوى العلم الذي

ينبغي أن نكون عليه، ولا أقصد بذلك من لم يحز مصطلح الحديث، أو الآجرومية، أو غيرها؛ وإنما نتكلم عن

علم سنن قيادة الحياة الذي كان عليه الصحابة –رضوان الله عليهم– بمعنى كيف نقود الحياة؟ كيف نتعامل مع الهزات الكبرى؟ كيف نتلاءم مع الأحداث العالمية؟ كيف نستوعب التغيرات الجديدة؟ بحيث نستخدمها

كلها من أجل نصرة الدين، وتغيير الواقع، واستخدام كل الأوراق من أجل ضرب الجاهلية، وتحقيق حكم الله في الأرض، وتوحيد الله –عز وجل– في الناس.

بعد هذه المسيرة نحن اكتشفنا أننا بحاجة لعلماء، فقد أثبت الواقع أن ما هو موجود من العلماء ليس كافياً:

- لا من جهة الكمية، ولا من جهة القَدَر، فنحن بحاجة لجموع من العلماء من أجل أن تشغل هذه الساحات المفتوحة والتي ستفتح بكل ما فيها من مستجدات ونوازل، بالإضافة لكمية العلم التي يحملها كل عالم في تلك الظروف الجديدة المستجدة.
- كذلك نحن بحاجة لتربية استيعاب الدار الآخرة، حتى لا ننازع تحت الآخرين تحت مظلة الهوى، والمصالح الشخصية وحب الذات ومدحها.

لاشك أن عدداً قليلاً من قيادات الحالة الجهادية فقد فهموا هذه المعاني، وأحدثوا تغيرات كبرى في الأمة، لكننا بحاجة لعدد أكبر في مثل هذه الظروف القادمة.

هذا وأرجو أن أكون قد نصحت لأمتي بهذا، ولا أحمل إلا هم الإصلاح لا هم التبكيت والتنفير.

السؤال السادس : هل ترون شيخنا إحياءً جديداً قريباً لمنطلقات الحركة الجهادية وامتلاك زمام مبادرة قُصفت عزمتُها، وخارت قوتُها، وأُحيط بها من كل جانب؟؟

العالم يعيش حالة التيه والحالة الجهادية هي الوارثة

أجاب الشيخ –حفظه الله-:" السؤال ابتداءً بحاجة لتحليل، وهو يهمني أكثر من الإجابة فقط، فأنا أرى أن الحركة الجهادية مازالت هي القوة الفاعلة في المنطقة ومازالت هي الرقم الصعب، لما تملكه من عمق في داخل الأمة – كما تكلمت في أسباب قوتها وعومل القوة في داخلها- ففي نظري أنه في أي تغير قادم ستكون

الحالة الجهادية هي الوارثة، وما نراه الآن من حالة جمود في العالم في كل الاتجاهات سببه مرحلة التيه التي يحياه العالم وارتقابه لأشياء عظيمة قادمة، وعدم الإدراك ما الذي سيكون بعد؟؟

لأنهم أمام أقدار يشعرون بها، كإحساس العربي بالعاصفة، كإحساس العربي برائحة المطر القادم، فالعالم يحس بأن شيئاً عظيماً قادماً وهم في حالة حيرة كبيرة معه كيف سيتصرفون؟؟ لأنهم لا يملكون القدرة، فقد العالم القدرة واهترأت نظم الجاهلية وبدأت هياكل الجاهلية بالذوبان والزوال والاهتزاز الشديد.

فالعالم في موقف الحيرة الشديدة والاضطراب، وتصرفاتهم تصرفاتٍ سريعةً ثم لا تلبث أن تتراجع، كأنه قد ذهب عن كل بلد، وعن كل قادة، وعن كل مركز، الرؤية الاستراتيجية التي ترسم لعشر سنوات، ولخمس

سنوات، فهذا غير حاصل الآن فالتصرفات لا تدوم شهراً أو شهرين ثم تنقلب الحالة ويتغير الظرف، مما يدل على أن العالم يعيش حالة تيه، والسبب في ذلك أنهم يرقبون أقداراً قادمةً.

وعليه فتلك الحالة ما ينبغي أن تُشعرنا بحالة اليأس والتراجع، فهذه الحالة العامة سالفة الذكر هي التي تعيشها الحالة الجهادية فهي لا تعلم الأقدار وترقب تغيرات قادمة، لذلك فهي تشعر بأنها إن لم تتقدم تقدماً استراتيجياً كبيراً، فتقوم بعمليات صغيرة هنا وهناك ولكنها لا تشكل حالة تغيير كلي حتى لأي بؤرة من بؤر

الصراع، وإنما تحافظ على مشروعها وتترقب، وهي حالة مفهومة تتلاءم مع الواقع ومع حالة الترقب السائدة، وبالتالي فإن الوراثة بلا شك ستكون للحالة الجهادية، فالحالة الجهادية لم تتراجع بل تقدم، والسكون الذي تحياه هو سكون كوني عام، ليس لطائفة دون طائفة، ولذلك علينا أن نحضر أنفسنا للحظة التقاط الأنفاس،

وتنظيف السلاح، وإعادة ترتيب الأفكار، ودراسة ما تمّ وما يمكن أن يقع، وتحضير أنفسنا لتغيرات عالمية، ينبغي معها سوق الأمة سوقاً قيادياً عظيماً حتى لا نستبدل.

وعلينا أن نتعامل مع الواقع باعتبار كليته لا باعتبار جزئياته، لأن البعض يريد منا أن ننشغل ببؤر خلافية صغيرة من أفكار خاصة، كالغلو والإرجاء هنا وهناك، فهذه خلافات تحتاج لرد علمي مناسب؛ لكن ما ينبغي أن تشغلنا عن رؤية هذه التحولات الكونية العظمى التي تُنبئ بحدوث وقائع لتنبؤات عظمى ربانية تعلمناها من الكتاب والسنّة.

وفي الختام نسأل الله لشيخنا الأجر والثواب، ولأمتنا اليقظة ولزوم الكتاب، وعزمةً تقودها لتحطيم الجاهلية بحدّ الحراب.

والحمد لله رب العالمين